

التراث



2014

ع: 5

نشریه سداسية جمعوية للإعلام والتبادل والتفكير

افتتاحية

تقاس مكانة الأمم والشعوب بما خلفته من تراث حضاري، يتحدى بعظمته تقلبات الزمان، وما تراث (وادي مزاب) العريق إلا نموذجاً من تلك العظمة، ويكفي تثمينا وتقديرا له أن يصنف وطنيا وعالميا ضمن التراث الإنساني المميز.

إنه من المولم أن يصبح هذا التراث مزريا، يبعث على الأسى والأسف، ويدعونا إلى أن نتساءل عما يلي:

تري ما حظ هذا التراث اليوم من اهتمام أهله به؟

من المسئول عن حالته المأساوية؟

كيف السبيل إلى إنقاذه؟

عن السؤال الأول نجيب: إن معظم أهالي هذا التراث لم يقدره حق قدره، إذ يعتبرونه مجرد معالم لحضارة تجاوزها الزمن، ولا تستحق منهم أية رعاية.

وعن السؤال الثاني نجيب: إن مسؤولية تدهور هذا التراث مشتركة بين الأهالي الزاهدين فيه وبين السلطات الوصية المحلية والمركزية التي لم تتولى العناية الكافية لحمايته تقنيا من التدهور. والأدهى والأمر في شأن هذا التراث هو تسلط أعدائه عليه بالتحريب الوحشي الذي لم تسلم منه حتى المصليات الجنائزية والقبور.

أما السبيل إلى إنقاذ ما تبقى من هذا التراث فهو تحسيس المواطنين بوجوب رعايته، وتلقيق الأجيال الصاعدة قيمته وأبعاده ليساهموا في الحفاظ عليه

بدورهم، كما يرجى من السلطات المسؤولة في جميع مستوياتها العمل على ترميم الآثار العمرانية الباقية من قبل المختصين، الضرب بحزم على الأيادي الممتدة إليه بالتحريب.

وإن تراث (وادي مزاب) لم يعتمد على المادي منه فحسب، وإنما طال كذلك التراث المعنوي منه، وظاهرة استبدال تسميات قديمة للشوارع والساحات ومواقف الحافلات بأسماء أخرى، تشتم منها رائحة الإقصاء والتعصب، ما ذاك إلا أسلوب صارخ لطمس معالم حضارة الوادي.

وغني عن القول بأن أي مساس بتراث الوادي هو مساس بتاريخ الجزائر ونيل من عظمتها وخيانة لأمجادها.

أ. نواقي سليمان بن عمر

ملاحم عن الحياة الفكرية في مزاب

باكيل اوبالوزن اذا كان متعبا واما اذا اظن مختلفا باننا
يقتمونه بالقيمة وكذا يجب اذا كان فيه الماء على هذا
الحال وفيه انفسه وزمان الماء في ايجب بالذرع والانتشار و
الايام والذراع

حلم كتاب القسمة من وضع البغية الامام
ان العباس احمد بن السيد الامام ابو عبد الله
محمد بن البغية الامام بكر رضي الله عنه
وز فدا برخطهم وافتحوا لانا من علي يد العبد
البغية الرحمة الله احمد بن داود بن موسى المديني
في اليوم الثاني من شهر ربه المحرم ففتح
عام احدى وثمانين ومائة والخمسة من الف

نسخة من كتاب القسمة بخط أحمد بن داود المصعبي،
مؤرخة في 881هـ [1476م].

يُعدّ وادي مزاب من المناطق الجزائرية التي تزخر بتراث حضاري هام، متمثلاً في مظاهر ثقافية مادية وغير مادية. وقد أثارت هذه المظاهر الحضارية اهتمام العديد من الباحثين منذ حوالي منتصف القرن 19م،

فتناولوها بالدراسة من زوايا متعدّدة: تاريخية، اجتماعية، أنثروبولوجية، معمارية وعمرانية، وغير ذلك من الجوانب. وستكون إطلالتنا في هذه العجالة على الحياة الفكرية بمنطقة مزاب، مرتكزين على أبرز ملامحها. ترجع بواكير النهضة العلميّة في مزاب إلى النصف الأوّل من القرن 5/هـ 11م، وتحديدًا مع ظهور الإمام الشيخ أبي عبد الله محمّد بن بكر الفرستائي الريغي (متوفى سنة 440هـ/1049م) في مسرح الأحداث بالمنطقة.

اليد الذهبية

مقدمة:

امرأة ليست كغيرها من النساء، بل امرأة ليست كغيرها من الإنسانية، امرأة وهبت نفسها لخدمة خلق الله ونفعهم، امرأة اتخذت من معالجة المرضى هدفاً ومن مرضاة الله غاية! امرأة خلقت للخير وأجرت الخير على يديها، إنها المرحومة "عيشة بوكر امحمدي" المرأة الطاهرة الصبورة الحكيمة العبقريّة التي اتخذت من الطب التقليدي رسالة شريفة وأمانة ثقيلة، فعالجت المرضى وأدخلت



البهجة والفرحة والشفاء - بإذن الله - والراحة والطمأنينة على كثير من العائلات وعلى قلوب كثير من المرضى والمصابين. فكم من حاملّة تنفست بإذن الله على يدها وكم من كسر أجبر وكم من بطن متآلم شفي وكم من صبي استوى على سوقه وكم وكم وكم.. أيادي ذهبية حكيمة مستجيبة لبصيرة قوية ونيرة تفيض إيماناً وتقوى وعزيمة. بصيرة سخية ثابتة تعوض فقداناً للبصر ابتلاء حسناً من المولى عز وجل ومصدراً للصبر والثواب.

صالح بن الحاج عمر ترشين

ملاح عن الحياة الفكرية في مزاب



مصلى الشيخ إبراهيم بن مناد المصعبي (القرن 6هـ)

الذي أرخ لبعض منسوخاته بين سنتي 866هـ-881هـ (1462م-1476م)؛ وأحمد بن إبراهيم بن عمر المصعبي الذي نقل أجزاء من ديوان العزابة في المسجد الجديد بجربة في سنة 889 (1484م).

وما إن أطلّ القرن 10هـ/16م على منطقة مزاب حتى عرفت الحياة الفكرية نهضة وانتعاشاً، تركت بصماتها جليةً في نواحي الحياة المختلفة للمجتمع المزابي. وكانت تلك النهضة، بلا ريب، من ثمار مدرسة العلامة المصلح الشيخ أبي عثمان سعيد بن عليّ الجربي (متوفى سنة 927هـ/1521م)، ومدرسة تلميذه من بعده، العالم الورع الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل بن عيسى المصعبي (متوفى سنة 971هـ/1564م). وتجلت تلك النهضة في ازدياد عدد الطلبة المزابيين الذين التحقوا بمدارس جربة ومصر لإكمال دراساتهم العليا، خاصةً في مجال علوم اللغة العربية والمنطق، وفي العلوم الطبيعية والرياضية. وفي هذا القرن نشطت حركة نسخ الكتب والدواوين، وظهرت مؤلفات معظمها في شكل رسائل وأجوبة ومنظومات، وأسّس بعض الشيوخ البارزين مكباتهم الخاصة. ويفضل هذا النشاط الفكري المتميز، قويت الروابط الثقافية بين قصور مزاب ومواطن الإباضية الأخرى، كجزيرة جربة وجبل نفوسة وعُمان، وأضحت منطقة مزاب في القرن 10هـ/16م، رغم توغلها في الفقر وظروف الحياة القاسية، مركزاً ثقافياً معتبراً يستقطب علماء من مختلف المشارب؛ فتوالت عليه زيارات العلماء من وارجلان وجربة ونفوسة وعُمان، ومن بعض حواضر بلاد المغرب كمدينة فاس وتلمسان.

وما كان ليحدث ذلك لولا رجال آمنوا برّبهم حقّ الإيمان، فبدلوا مهجهم لإحياء القلوب بنور العلم. لم يثن عزيمتهم في ذلك ما كان يلاقونه من ألوان العنت وقسوة الحياة، ولم يفلّ من إرادتهم ما كان يعترضهم من أنواع المكدرات، وما أكثرها في هذه الربوع؛ فسجلوا أسماءهم بماء الذهب في سجلّ العلماء العاملين المخلصين.

أ. يحيى بن عيسى بوراس

وقد كانت له إلى هذه الربوع رحلات علمية وجولات دعوية، يقول عنها المؤرخ الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني في كتاب "طبقات المشايخ بالمغرب": «ومن أخبار الشيخ أبي عبد الله -رحمه الله- ما بلغنا أنّ أبا عبد الله كان يخرج للحلقة (أي النظام التربوي والاجتماعي "العزابة") في أوان الربيع إلى بوادي بني مصعب (أي بني مزاب) لمأرب، منها أنّه كان يطلب بذلك راحة خاطره وخواطر التلاميذ واستصلاحها، وتدبير قوى أجسادهم واستصلاحها، فإنّه علم ما في بلاد ريغ من رداءة الهواء وقلة طيب الماء، وأيضاً فإنّ بني مصعب كانوا واصلية (أي معتزلة) فعمت بركنته، فرجعوا إلى دين الحقّ والطريقة المرضية، وكان أكثر قصده في انتجاعهم، وحلول رباعهم. وكان يبيّن لهم طرقاً يتبعونها، ويضرب لهم أمثالا حسنة يعملونها». (الدرجيني، الطبقات، ج 1/ ص 184-185).

وكانت مدراس وارجلان ووادي أريغ منهلاً للطلبة المزابيين بالنسبة للقرون الثلاثة: 5، 6، 7هـ/ 11، 12، 13م؛ فالشيخ أبو العباس أحمد الدرجيني يروي في "الطبقات" النقاءه بالطالب "بابا إيزمر المصعبي" في مدرسة الشيخ أبي سهل يحيى بن إبراهيم بوارجلان في حوالي سنة 616هـ/ 1219-20م. (الدرجيني، الطبقات، ج 1/ ص 181-182).

وما إن حلّ القرن 6هـ/12م حتى ظهر في المنطقة علماء من زناتة مزاب، حملوا الأعباء الدينية والاجتماعية في المجتمع، ذكّرت المصادر التاريخية ثلاثة، هم: الشيخ عبد الرحمن الكرتي والشيخ أبو جعفر مسعود والشيخ إبراهيم بن مناد. (رسالة في ذكر بعض شيوخ الوهبيّة، لمؤلف إياضي مجهول عاش في القرن 6هـ).

وقد انبثقت عن جهود الشيخ أبي عبد الله ومن سار على دربه من بعده، أمثال الشيخ أبي (ق.5هـ)، وأبي عمّار (ق.6هـ)، تحوّل قبيلة الاعترال إلى المذهب تركيبة اجتماعية أكثر مظاهرها التحوّل مزاب من حياة الاستقرار النهائي، والمداشر التي كانت الوادي لتتشكّل قصور هبتها الحالية، المتميزة والخاضعة لنظم الأحكام، مع ما صاحب لتذليل الأرض من إحياء للوحدات وغرس الألاف من النخيل، واستحداث نظام ريّ دقيق لاستغلال مياه السيول أحسن استغلال.

ولما خفت نور إقليم وارجلان ووادي أريغ بما حلّ فيهما من الفتن، وبما أصاب قراهما ومدنهما من التدمير والتخريب (أكبر حملة تخريبية تعرّضت له قصور إقليم وارجلان ووادي أريغ كانت على يد يحيى بن إسحاق الميورقي، وذلك بين سنتي 26-627هـ/ 1229م. يُنظر: الدرجيني، الطبقات، ج 2/ ص 494؛ عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبير، ج 7/ ص 98)، توجه الطلبة المزابيون إلى جزيرة جربة للنهل من مدارسها العامرة، فنشطت حركة النسخ واقتناء الكتب في النصف الثاني من القرن 9هـ/15م، وظهر نسّاخ مهرة، نقلوا العديد من كتب المذهب الإباضي وغيره. وبلغ إلينا من خطوط هذه الطبقة مستنسخات لأحمد بن داود بن موسى بن إسماعيل بن عيسى المصعبي،

تحوّل قبيلة بني مزاب الزناتية من الاعترال إلى المذهب الإباضي، وظهر تركيبة اجتماعية أكثر مظاهرها التحوّل تطوراً، من أهمّ مظاهرها التحوّل التدريجي لقبيلة بني مزاب من حياة الانتجاع إلى حياة الاستقرار النهائي



TOURATH

oltisguen@gmail.com

Numéro -05-

Bulletin « *semestriel associatif d'information d'échange et de réflexion* » juin 2014

Edito

La grandeur des nations et des peuples s'apprécie à l'aune de ce qu'elles ont légué comme patrimoine culturel qui, grâce à sa valeur, défie les aléas du temps. Le Patrimoine ancien de la vallée du M'zab n'est qu'un modèle de grandeur parmi tant d'autres. Cette appréciation et reconnaissance de tous ses attributs lui confèrent une valeur mondiale exceptionnelle qui lui a valu son classement par l'UNESCO patrimoine nationale (1972) puis universel (1982).

Il est douloureux et consternant de voir aujourd'hui ce patrimoine exposé à un important processus de dégradation dû en partie à l'absence de politique concertée de conservation et de promotion, et nous invite à nous poser les questions suivantes:

- 1) Quelles sont les chances de voir ce patrimoine devenir objet d'attention de la part de ses héritiers ?
- 2) qui est responsable de sa situation dramatique?
- 3) quel est le moyen de le sauver?

S'agissant de la première question : La plupart des héritiers de ce patrimoine ne l'apprécient pas à sa juste valeur car ils le considèrent comme le vestige d'une civilisation révolue ne nécessitant aucun soin ou intérêt.

Pour ce qui est de la deuxième question, la responsabilité de la dégradation de cet héritage est partagée entre ses héritiers indifférents et/ou apathiques et les autorités de tutelle locales et centrales qui n'ont pas pris toutes les mesures adéquates pour le protéger.

Le pire ici, ce sont les ennemis de ce patrimoine qui, récemment, s'en sont pris aux cimetières : tombes profanées, mausolée Ibadite datant du 16^e s, classé par l'Unesco patrimoine universel de l'humanité détruit...

Quant au moyen de sauver ce qui reste de ce patrimoine bâti ; outre la sensibilisation des citoyens à la notion de patrimoine et à la nécessité de sa sauvegarde, il est impérieux d'inculquer aux générations futures sa valeur et sa grandeur. Mais comme le patrimoine est un bien collectif, il importe aussi que tous les organismes publics responsables le restaurent, selon les méthodes appropriées.

Les pouvoirs publics ont aussi le devoir, de protéger le patrimoine culturel des agressions -comme se fut le cas récemment- de quelque région de notre pays car cela constituent des atteintes à l'identité des algériens et à l'humanité entière, sachant que chaque peuple apporte sa contribution à la culture de son pays et la culture mondiale. Et aussi, frapper d'une main de fer les auteurs des actes de vandalisme.

Il va sans dire que tout préjudice porté au patrimoine de la vallée, est une trahison à l'Histoire et à la grandeur de l'Algérie.

Traduction de l'Arabe

Mohamed Abimhamed

LE PATRIMOINE ARCHITECTURAL MOZABITE



Le dictionnaire français définit l'architecture comme l'art de construire des édifices. Le même dictionnaire désigne par « édifice » un bâtiment important.

Au regard des constructions anciennes chez nous, les bâtisses sont plutôt de taille modeste. Il semblerait donc que parler d'architecture mozabite serait inconsequent. Toutefois, sur le plan pratique, le sens du mot peut être étendu à toute sorte de construction, y compris celles de taille modeste. D'autres auteurs l'ont fait avant nous. Ces constructions, aussi modestes soient-elles, ont réussi à susciter l'admiration de plusieurs architectes. Bon nombre d'entre eux s'en sont inspi-



DANS CE NUMÉRO :

افتتاحية 1

اليد الذهبية 1

ملاح عن الحياة 1 .

الفكرية في مزاب 1 .

Le patrimoine architectural mozabite 3

Le patrimoine architectural mozabite 4

Patrimoine du M'zab en péril 4

Patrimoine du M'zab en péril

Les offenses portées à l'architecture locale, de renommée mondiale, qui jadis obéissait à des règles immuables aujourd'hui hélas, depuis plus de trois décennies faute de fermeté à l'égard des contrevenants, perd chaque jour que Dieu fait, un pan de son authenticité. C'est inadmissible et intolérable ! Un coup porté à notre identité en tant qu'algériens. On ne peut ressentir que de l'amertume et de la colère.

Durant les tragiques événements que connaît Ghardaia voilà 8 mois, Plusieurs édifices et biens culturels ont été vandalisés, pillés et/ou incendiés. Des actes gratuits de dévastation perpétrés par des hordes terroristes. Une intervention rapide et musclée des forces de sécurité sur place, aurait sans aucun doute, pu éviter cet acharnement incompréhensible de ces profaneurs sur des éléments fondamentaux de notre conscience nationale. Tout ce qui a trait à notre Histoire à notre mémoire collective et partant à notre identité algérienne ne doit souffrir d'aucune incurie. Profaner notre patrimoine c'est souiller notre drapeau notre dignité car Il s'agit d'un patrimoine national témoins du riche passé de l'Histoire millénaire de notre pays.

Une action de restauration et de réhabilitation de l'ensemble des biens culturels ancestraux vandalisés lors



des événements qu'a connus la vallée du M'Zab (site classé patrimoine national puis universel) au début de cette année, sera financée par l'état et démarrera prochainement, selon la direction de la culture de la wilaya. Soulignons toutefois: Quand bien même ces sites seront restaurés et réhabilités, ce qui est une bonne chose en soi, ils porteront à jamais les stigmates de leurs agressions.

Mohamed Abimhamed

Le patrimoine architectural mozabite

Ce qui fait le charme de ces constructions, ce ne sont pas les formes qui sont, du reste, discrètes ; mais leur caractère fonctionnel et adaptatif aux conditions naturelles souvent dures.



Au M'zab, jadis, toute construction, quelque soit sa nature, était conçue dans le cadre d'un plan général d'aménagement du territoire. Ainsi, peut-on distinguer :

L'espace réservé à l'habitat. C'est la cité, [Agherm], perchée sur les hauteurs rocheuses, entourée d'une clôture qui, à l'origine, n'était pas un rempart mais une simple clôture pour séparer la zone d'habitat permanent des autres espaces.

L'espace agricole qui serpente le long des fonds d'oueds, là où on peut trouver de la terre arable. Cet espace est pourvu de constructions de nature hydraulique : des digues, des canaux d'irrigation, des puits absorbants et d'autres agraires pour l'irrigation des cultures, et

aussi des bassins-bâches d'eau qui recueillent la moindre goutte d'eau qui dégouline des hauteurs rocheuses.

Au dessus de l'espace agricole se trouve **le domaine réservé au pâturage**. Celui-ci est balisé de pitons destinés à séparer, les unes des autres, les zones de pâturage des différentes cités.

Un autre espace spécifique est celui des souks où se réalisent les échanges par troc entre citadins et nomades : produits agricoles et de l'artisanat contre produits de l'élevage ou de la cueillette. A cela s'ajoute tout un réseau de pistes commerciales jalonnées de caravansérails distants les uns des autres d'une cinquantaine de kilomètres, ce qui correspond à une journée de marche.

Les mosquées, les cimetières et les aires de prière constituent l'espace sacré.

Tous ces espaces cités plus haut constituaient, jadis, un ensemble harmonieux ; expression d'une bonne gouvernance dans la gestion de « l'oëkoumène » [du grec signifiant terre habitée]

A l'heure actuelle on constate la présence, dans le paysage urbain, de véritables édifices administratifs, commerciaux et domestiques qui viennent perturber l'harmonie du paysage traditionnel. Ces édifices sont parfois accompagnés d'éléments décoratifs empruntés à l'art traditionnel. Ces éléments sont dépourvus d'utilité ; ce sont une simple imitation et non une inspiration. A sont là quelques réflexions qui montrent la philosophie qui a guidé les bâtisseurs d'antan.

Dans les numéros qui suivront nous aborderons, tour à tour, les types d'architecture : domestique, hydraulique, agricole, militaire et sacré.

Ahmed Nouh Mefnoun.

Directeur de publication : ABIMHAMED Mohamed

Rédacteur en chef : DOUAG Slimane

Comité de rédaction : NOUH MEFNOUN Ahmed, TIRICHINE Salah, BOURAS Yahia/A, BAALI Slimane, AMARA Moussa.

Office du Tourisme et Développement Association inscrite S/N° 164-08.03.88
Bab Echergui rempart de BENI ISGUEN 47005

Tél/fax : 029 892 860

Mobile : 0 771 745 631

Courriel : contact@beni-isguen.org

Site: www.beni-isguen.org